الفصل الحادى عشر

الأصولية اليهودية صناعة أمريكية

١ ـ الولايات المتحدة أرض لتفريخ المتطرفين (اليهود)[١]

مثلها، مثل باقى المظاهر والظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فى إسرائيل، يبدو الارتباط شديداً بين انتشار التيارات الدينية والأصولية داخل الدولة الصهيونية، وعناصر الدعم والإسناد، غير المحدود، الواردة من الخارج، وبالذات من الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب الرأسمالية الكبرى (فرنسا ـ انجلترا .. إلخ)، ويبلغ التعصب للقوى الدينية الأصولية الإسرائيلية، ولتياراتها الأيديولوچية، من يهود الخارج (وأمريكا بالذات)، ومن «المسيحيين الصهيونيين»، الذين يبدون «ملكيين أكثر من الملك»، حداً غير معقول ولا مقبول، ناهيك بالطبع عن أشكال الدعم المادى والمعنوى المتعددة، التى تحظى بها الدولة الصهيونية ذاتها من أميركا والغرب، وهو الأمر الذى لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح*.

ويكفى فقط للدلالة على أبعاد هذه الظاهرة الإشارة إلى أن أغلب العناصر الفاعلة، فى حملة «كلينتون» الانتخابية السابقة، كانوا من اليهود

(١) حاييم هيرتزوج، الرئيس الإسرائيلى السابق.

* يمكن للقارئ المعنى بدراسة هذه النقطة الرجوع إلى عشرات المراجع الأجنبية الهامة، أما فى المكتبة العربية، فهناك العديد من الدراسات حول هذه القضية من أهمها: «الصهيونية فى الولايات المتحدة»، مجدى نصيف، دار «العربى» للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٨ ـ «نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الإمبريالى»، وجيه حسن قاسم، دار «البيادر» للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٨ ـ «جماعة الضغط اليهودية فى أربع إدارات أمريكية»، أنمار لطيف نصيف، بغداد، ١٩٨٩ ـ «المعونات الأمريكية لإسرائيل»، د. محمد عبد العزيز ربيع، «مركز دراسات الوحدة العربية»، بيروت، ١٩٩٠ ـ «تاريخ النفوذ اليهودى فى أمريكا»، فيصل أبو خضرا، الرياض، ١٩٩٢ ... وغيرها من الدراسات المهمة فى هذا السياق.

الصهيونيين المتعصبين لإسرائيل، وعناصر عديدة مؤثرة فى الإدارة الأمريكية هم كذلك (ومنهم مارتن إنديك السفير اليهودى للولايات المتحدة فى إسرائيل)، وكان «ستيفن سبيجل» مستشار «كلينتون» لشئون الشرق الأوسط إبان المعركة الانتخابية (أكتوبر ١٩٩٢) قد صرح بأن «أمريكا لن تعرف منذ «ليندون جونسون» و هربرت همفرى» رئيساً منحازاً لإسرائيل مثل «كلينتون» إذا نجح[1]، وقد كان بالفعل، ويذكر أن «ألبرت جور» نائب الرئيس «كلينتون» هو أيضاً واحد من غلاة الأمريكيين المتعصبين للدولة الصهيونية[*].

وكما هو معروف فإن واحدة من دعائم النظام السياسى الإسرائيلى هو الاعتراف بأن «إسرائيل»، «ملك لمجموع الشعب اليهودى» وليس فقط لمن يعيش داخلها من اليهود، فهى تعتبر كل يهودى يعيش خارجها «مواطناً محتملاً»، وتتبدى الأهمية الكبرى لهذا المبدأ إذا ما علمنا أن عدد اليهود المقيمين خارج «إسرائيل» يبلغ تقريباً ضعف عدد المقيمين بها (٨,٦ مليون فى الخارج مقابل ٤,٦ مليون بالداخل)، ويعيش من يهود الخارج، نحو ٥,٨ مليون يهودى بالولايات المتحدة وحدها، «وهم من أقوى وأغنى الفئات اليهودية فى العالم»، وظل هذا التجمع الكبير يؤيد إسرائيل «على طول الخط» بالأموال والنفوذ والدعم المتعدد الأشكال، وفى كل الظروف وتحت شتى الاعتبارات، وحينما بدأت عملية التسوية السياسية الأخيرة انحازت هذه الجماعات اليهودية إلى الخط اليمينى المتشدد لتجمع الليكود، وإلى صفوف التجمعات الدينية والأصولية المتزمتة من المستوطنين، واتحدت أهداف هذا الحلف فى العمل من أجل إحراج «رابين» وحكومته، وتخريب

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٢/١٠/٢٤.

* يُشار فى هذا السياق إلى دور مجموعة «المحافظين الجدد»، التى كوَّنت إدارة الرئيس «جورج بوش الصغير» فى الدفاع عن إسرائيل ودعم عدوانيتها، ووعود الرئيس «باراك أوباما»، الرئيس الأمريكى الحالى، بالحفاظ على أمن إسرائيل وتفوقها المطلق على العرب، وهى أمور تلت إصدار الطبعة الأولى من الكتاب، لكنها جاءت مصداقاً لما تضمنه من رؤىً وأحكام.

مسارات التسوية[1]، وهو الموقف الذى دفع «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، قبل اغتياله، أثناء آخر زياراته للولايات المتحدة، إلى الدخول فى مواجهة معهم ـ تعقيباً على محاولاتهم هدم اتفاقاته مع عرب التسوية و(مجموعة ياسر عرفات)، حيث قال لهم: «لا تتدخلوا فى شئوننا إن هذا حق فقط لمن يعيش فى إسرائيل ومن يخدم أبناؤهم فى الجيش الإسرائيلى، إن دوركم يقتصر فقط على تجميع الأموال للمساعدة فى دمج المهاجرين الجدد»[2] وبالطبع فدور «جامعى المساعدات» لم يُرض قادة التجمعات اليهودية الصهيونية والأصولية فى الخارج، وفى الولايات المتحدة بالذات، الذين دفعوا فى اتجاه الخلاص من «رابين» وسياساته، وهَلّلَوا لاغتياله، ووصل الأمر بهم إلى حد تنظيم حملة جمع تبرعات لمساعدة قاتل «إسحق رابين»، ذكر المسئول عنها، «موشى جروس»، تعليقاً عليها: «أردنا أن نفاجئ العالم بأن هناك يهوداً مسرورين (لمقتل رابين)، وأضاف أن الحملة وُضعت «بمبادرة من يهود متدينين معجبين بـ «إيجال عامير» قاتل «رابين» وقد حددت الحملة خطاً هاتفياً خاصاً لاستقبال التبرعات «يتلقى نحو ستين مكالمة فى الساعة منذ اليوم الأول»، ألحقت به تسجيلاً هاتفياً يصف «عامير» بـ «بطل يهودى كبير»، ويتهم «رابين» بـ «العنصرية والتطرف»[3].

وقبل يومين من إعلان هذا النبأ اتهمت صحيفة «لوموند» الفرنسية منظمات يهودية، فى فرنسا والولايات المتحدة وألمانيا وسويسرا وبلجيكا، بدعم المستوطنين اليهود المتطرفين، وتزويدهم بالمال.

وقالت الصحيفة: إن فرنسا تأتى فى المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة، كأكبر دولة تُجمع فيها المساعدات المالية لإرسالها إلى المتطرفين

(١) انظر: طارق حسن، التمزق اليهودى: اغتيال رابين.. قنبلة عنقودية تنفجر فى اتجاهات متعددة، جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٨/١١/١٩٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

(3) NEW YORK TIMES, U.S.A., 10 November, 1995.

اليهود فى المستوطنات، مشيرة إلى أن «جاك كييفر، أسس «صندوق إنقاذ إسرائيل الكبرى»، فور توقيع اتفاقيات أوسلو ١٩٩٣، وأوضح أن الجماعات المؤيدة للمتطرفين اليهود فى فرنسا، ساعدت أكثر من ألف يهودى فرنسى على الإقامة فى مستوطنة «إيفرات»، التى تم توسيعها بفضل المساعدات غير المشروعة، التى يتم جمعها عن طريق الندوات والاجتماعات والحفلات[١].

وأشارت الصحيفة إلى أن أهم الحركات اليهودية، والأكثر تطرفاً، «كاهانا حى» تعمل من الولايات المتحدة، ويتلقى مائتان من رجالها المسلحين تدريبات جيدة فى نيويورك، حيث تعمل «لجنة الدفاع اليهودية»، التى أسسها «مائير كاهانا» فى الستينيات.

ويرى أعضاء الحركتين أن مرتكب مذبحة المسجد الإبراهيمى فى مدينة الخليل شهيد، ويُعَبِّرُونَ عن سعادتهم لاغتيال «إسحق رابين» رئيس الحكومة الإسرائيلية، الذى ساهم فى اتفاقية السلام فى الشرق الأوسط[٢].

وكانت «اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز، قد أذاعت بياناً فى أعقاب مذبحة الخليل، طالبت فيه وزارة العدل الأمريكية بالتحقيق فى النشاط الإرهابى لليهود المتطرفين فى الولايات المتحدة، حيث إن أعضاء حركة «كاهانا» يتدربون على السلاح والأعمال الإرهابية فى ولاية نيويورك.

وأضاف بيان المنظمة العربية أن جريمة مسجد الخليل ليست «حادثاً فردياً» قام به شخص مختل عقلياً، وإنما هى نتاج حركة المستوطنات، التى تتسم بالعنف والعدوانية وتمثل المحور الرئيسى لسياسة إسرائيل.

وطالب «العرب الأمريكيون» بنزع سلاح المستوطنين فوراً وتوفير حماية دولية للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، وأضاف بيان المنظمة «أن مذبحة الخليل تؤكد بوضوح لا يشوبه الخطأ أنه يجب إزالة المستوطنات، وأن يبدأ

(1) LE MONDE, Paris, 8 November, 1995.

(٢) المصدر نفسه.

إنهاء الاحتلال الآن، وأنه لا يمكن تجنب مشكلة المستوطنات بعد الآن، ولا يمكن للفلسطينيين الانتظار لسنوات قادمة من المفاوضات الدبلوماسية ريثما يمكن البدء فى مناقشة هذا الموضوع»[١].

وهذا الأمر أكدته صحيفه «حداشوت» الإسرائيلية، التى نشرت فى ١٨ أغسطس ١٩٩٣، تحقيقاً موسعاً حول دورات تدريب قتالية تعقدها مجموعات يهودية تطلق على نفسها اسم «كاهانا حى»، نسبة للحاخام اليهودى المتطرف «مائير كاهانا» الذى اغتيل فى الولايات المتحدة منذ سنوات، وذكر التحقيق أن الدفعة الأولى (البالغ عددها ٢٠٠ مشاركاً من بينهم ٣٠ فتاة)، من تلك الدورات التى تعقد فى الولايات المتحدة، قد أنهت تدريباتها وتوجهت إلى فلسطين المحتلة استعداداً للقيام بمهماتها، التى يقع على رأسها، حسب أقوال بعض المشاركين فيها، الوقوف الحازم ضد أى انسحاب إسرائيلى، سواء من الضفة الغربية أو الجولان، ويُفَصِّلُ أحدهم تلك الأهداف بقوله: «إن جيش «كاهانا» يُخطط لليوم الذى سيذهبون فيه إلى هضبة الجولان من أجل القتال ضد الانسحاب، وإننى آمل ألا نضطر لقتال اليهود*، لكن إذا لم يكن من ذلك بد فسوف نقاتل بالوسائل التى تعلمناها، إننا نفضل أن نقاتل ضد العرب، إذا ما قام الحكم الذاتى فسوف نقاتل العرب الذين يحملون سلاحاً، وإذا ما انسحبت إسرائيل من «الجولان» فسوف نصمد بها ونقاتل ضد السوريين ونمنعهم من الدخول»[٢].

ويشير تقرير صحفى من واشنطن، إلى أنه فى أعقاب مجزرة الحرم الإبراهيمى، فى الخامس والعشرين من شهر فبراير ١٩٩٤، التى نفذها المستوطن اليهودى «باروخ جولدشتاين»، الذى هاجر إلى إسرائيل من الولايات

(١) جريدة «الأهالى»، القاهرة، ١٩٩٤/٣/٩.

* يقصد اليهود الذين يقفون مع عمليات الانسحاب المحدودة من بعض الأراضى العربية المحتلة، فى إطار التسوية السياسية.

(٢) انظر خالد الخروب، تقرير عن الموضوع، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩/٩/٢٣.

المتحدة عام ١٩٨٣، بدأ الخبراء والمراقبون السياسيون الأمريكيون يدرسون بنوع من التركيز ظاهرة أن الكثير من اليهود المتطرفين، فى المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة، جاءوا أساساً من الولايات المتحدة، بل ومن مناطق محددة فى الولايات المتحدة، أبرزها «حى بروكلين» الشهير فى نيويورك. والأمثلة على تطرف «اليهود الأمريكيين» فى حركة الاستيطان اليهودية كثيرة، لعل أبرزها، كما أسلفنا القول الحاخام العنصرى «مائير كاهانا» (مؤسس منظمة «كاخ» الإرهابية) الذى قُتل فى شهر تشرين الثانى/ نوفمبر ١٩٩٠، واتُهم فى اغتياله «سيد نصير»، الشاب المصرى الأصل، وقد برّاته المحكمة من قتل «كهانا»، لكنها حكمت عليه بالسجن، على أية حال، لمدة عشرين سنة لمخالفات قضائية أخرى(١).

وكذلك حركة «كاهانا حاى»، أى «يحيا كاهانا» التى أسسها أحد أبناء «كاهانا» فى إسرائيل، وأقام لها فرعاً نشطاً فى «نيويورك»، ويشير «ديفيد شيبلر»، مدير مكتب صحيفة «نيويورك تايمز» بالقدس، فى الثمانينيات، إلى أنه من الحقائق التى تجدر ملاحظتها والتركيز عليها أن اليهود الأمريكيين يشكلون أكثر من ١٥٪ من المستوطنين اليهود فى الأراضى المحتلة، الذين يُقَدَّرُ عددهم بأكثر من ١٣٠,٠٠٠ مستعمر(٢).

فضلاً عن ذلك تلجأ الجماعات اليهودية المتطرفة فى أماكن تركز اليهود، خصوصاً فى ولايات «نيويورك» و«ماريلاند» و«بنسلفانيا» و«فلوريدا» و«إلينوى» و«كاليفورنيا»، إلى تنظيم «دورات تثقيفية» لمن يريد من أبناء الجالية اليهودية، «لا لتعليمهم أصول الدين أو التاريخ اليهودى، بل لغسل أدمغتهم بأحقيّة اليهود التاريخية والدينية فى أرض إسرائيل، وبأن العرب «أوباش» لا يستحقون هذه الأراضى، وينبغى مقاتلتهم فى أى أرض وبأية

(١) مفيد عبد الرحمن، أمريكا تُفرخ الإرهابيين اليهود وتُصَدِّرهُم لإسرائيل، مجلة «الوطن العربى»، باريس، العدد (٨٨٩)، ١٨/٣/١٩٩٤.

(٢) المصدر نفسه.

وسيلة لإعادة الحق إلى أهله»، وهناك كتيبات ونشرات ومجلات يهودية عديدة، يمولها أثرياء اليهود المتطرفين، تتناقل هذه الأفكار بشكل منتظم.

ويقول «شيبلر»: إن «الكثير من الأطفال اليهود هنا يتم حقن أدمغتهم بمقادير كبيرة من الحقد والكراهية، فى المدارس وفى المنازل وفى المناقشات العامة التى تجرى أمامهم بين الكبار»، مضيفاً أن هناك جماعات يهودية متطرفة «لا عمل لها سوى الحض على خلق عقلية يهودية لا تقبل التسامح، بل تهدف أساساً إلى تعليم أبناء هذا الجيل أن أمامها عدواً توراتيا واحداً هو العربى»[1]. ويذكر الكاتب اليهودى (الليبرالى) المعروف «روبرت فريدمان»، الذى نُشر له مؤخرًا واحداً من أفضل الكتب باللغة الإنجليزية عن الحركة الاستيطانية الإسرائيلية، «متحمسون لصهيون»، الذى نشر له مؤخراً، الحوادث التالية على ما يقدمه يهود أمريكا للمستوطنين الإسرائيليين من دعم مالى:

فى شهر أيار «مايو» ١٩٩٠، عقدت مؤسسة يهودية أمريكية تتخذ من نيوريورك مقراً لها، وتطلق على نفسها اسم «صندوق الخليل»، مؤتمرها الثالث فى فندق «شيراتون ميدولاندز» بنيوجرسى القريبة من «نيويورك»، على شرف مؤسس هذا الصندوق فى الولايات المتحدة، الحاخام الإسرائيلى والزعيم الاستيطانى المتطرف «موشى ليفنجر»، الذى كان أول من بدأ الاستيطان فى الخليل فى عام ١٩٨٢، ويعمل الصندوق كمؤسسة «خيرية معفاة من الضرائب»، حسب القانون الأمريكى، هدفها الأساسى جمع الأموال لشراء العقارات والأراضى فى منطقة الخليل، التى يقول كُتَيِّبٌ صادر عن المؤسسة أنها «لا تقل قدسية بالنسبة إلينا كشعب الله المختار عن مدينة القدس نفسها»[2].

ولم يتمكن الحاخام المتطرف من الحضور لأنه كان يقضى آنذاك أحكاماً بالسجن، لمدة ستة أشهر فقط، لقتله صاحب محل لبيع الأحذية، فلسطينى بالطبع، فى الخليل، قبل ذلك التاريخ بحوالى عام.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

ولكن زوجته الأمريكية الأصل، «مريم»، التى كانت أول من استوطن قلب «الخليل» بمستوطنة «بيت هداسا»، حضرت الحفل وألقت فيه خطاباً حماسياً أسفر عن جمع ثلاثة ملايين دولار، خلال أقل من ثلاث ساعات، وقد تم تنظيم ذلك الحفل فى اليوم ذاته الذى أقدم فيه جندى إسرائيلى، وصفته السلطات الإسرائيلية فوراً وكالعادة بأنه «مهووس»، بإطلاق النار على مجموعة من العمال العرب بالقرب من مستوطنة «ريشون لتزيون»، مما أدى إلى قتل سبعة منهم مرة واحدة، ورغم ذلك، لم يتفوه أحد من الحضور، وكلهم من ذوى الوزن الثقيل مالياً وسياسياً فى الولايات المتحدة وكندا، بكلمة واحدة عن تلك المذبحة، التى كان مُنَفِّذها منتمياً إلى الحركة الاستيطانية ذاتها التى تَجَمَّعُوا تلك الليلة لجمع الأموال لحسابها فى قلب الولايات المتحدة.

وممن لم يتمكنوا من حضور حفل العشاء ذلك أيضاً وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق «آريئيل شارون»، الذى خاطب الحضور تليفزيونياً، عن طريق الأقمار الصناعية، وقال لهم إنه يقدم «تهانيه الحارة على هذا الإنجاز للحاخام «ليفنجر» وعقيلته، اللذين اعتبرهما «بطلين حقيقين لأبناء جيلنا»[1].

أما الحضور الآخرون من ذوى الوزن الثقيل، مالياً وسياسياً فى الولايات المتحدة وكندا، فكان من بينهم «دوك هيكند»، وهو عضو فى كونجرس ولاية «نيويورك»، التى تشمل مناطق تجمع اليهود المتشددين مثل «بروكلين» و«بوروباك» و«كوينز»، وحضر الحفل أيضاً «سام رابايورت»، وهو صاحب أكبر شركة إنشاءات فى ولاية «بنسلفانيا» القريبة، ورجل الأعمال اليهودى المعروف «مارك بلزبيرج»، أما أغنى من حضروا ذلك الحفل فقد كانوا «الأخوة الثلاثة ريشمان» الذين ينتمون إلى عائلة «ريشمان» اليهودية الكندية الواسعة الثراء، والذين يملكون واحدة من أكبر شركات العقارات على وجه الأرض، والذين قدرت مجلة «فوربز» الأمريكية ثروتهم بسبعة آلاف مليون دولار.

وفى أحد أيام صيف العام ١٩٨٣، عقدت منظمة أخرى «خيرية ومعفاة

(١) المصدر نفسه.

من الضرائب»، مقرها «نيويورك»، تُدعى «أمريكيون من أجل إسرائيل الآمنة»، التى تأسست فى عام ١٩٧٦، مؤتمراً استغرق يوماً كاملاً فى «مركز شيراتون للمؤتمرات» بنيويورك، حضره مالا يقل عن ٣٠٠ شخصية يهودية بارزة، قدمت المنظمة خلاله للحضور خرائط وكتيبات تبين سهولة شراء العقارات والأراضى فى الضفة الغربية، ورخص أسعارها بالمقارنة مع الأراضى القريبة من القدس، كما جاء فى أحد الكتيبات التى وُزِّعَتْ على الحضور. وأكد مسئولو المنظمة على المشاركين فى ذلك المؤتمر «أن بالإمكان شراء دونم الأرض فى الضفة الغربية بما لا يزيد عن ٣,٨٠٠ دولاراً، مقارنة بـ ٨٠,٠٠٠ دولاراً للدونم فى ضواحى القدس»[١]، وبعد انتهاء ذلك المؤتمر تمكنت المنظمة من بيع آلاف الدونمات من الأراضى الفلسطينية لليهود الأمريكيين، الذين لم يزر الكثيرون منهم إسرائيل أو الأراضى المحتلة أبداً فى حياتهم.

وفى عام ١٩٨٤، عندما تمكنت الشرطة الإسرائيلية من الكشف عن أعضاء الشبكة السرية من المتطرفين اليهود المسئولة عن سلسلة من الهجمات الإرهابية ضد المواطنين الفلسطينيين، والتى كان أبرزها مسلسل التفجيرات ضد رؤساء البلديات المنتخبين: «بسام الشكعة» و«كريم خلف» و«إبراهيم الطويل» فى العام ١٩٨٠، أسس أنصار هذه الحركات المتطرفة، فى نيويورك، صندوقاً خاصاً لجمع الأموال من أجل استخدامها لدفع نفقات المحامين الذين انتدبوا للدفاع عن أولئك المتهمين المتطرفين فى المحاكم الإسرائيلية[٢].

ويقول «فريدمان» إنه بالإضافة إلى كل هذه النشاطات، عكفت منظمات المستوطنين الإسرائيليين، على إنشاء منظمات أمريكية تابعة، لها هدفها الرئيسى هو تجنيد المستوطنين المحتملين من أوساط اليهود المتطرفين، أو حتى من غير اليهود، لإرسالهم إلى مستوطنات الأراضى المحتلة «بهدف زيادة عدد المستوطنين وجعل المستوطنات، حقيقة على الأرض لا يمكن تغييرها»[٣].

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ومن أبرز هذه الحركات حركة «يرتيز يزرائيل»، أى «أرض إسرائيل»، وهى منظمة أمريكية مئة بالمئة، مع أنها فى الواقع، كما يقول الكاتب اليهودى، «جماعة تابعة لحركة جوش إيمونيم» الاستيطانية فى الأراضى المحتلة، هدفها تجنيد المستوطنين، من أوساط يهود الشتات، لاسيما فى الولايات المتحدة»[١].

ولكن نشاطات الجناح المتطرف وسط الجالية اليهودية الأمريكية، الداعم لحركة الاستيطان الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة، منذ نشأته على يد الحاخام المتطرف «موشى ليفنجر» فى عام ١٩٦٨، لا تنحصر فى جمع الأموال لهذه الحركة واجتذاب المستوطنين المحتملين إلى الأراضى المحتلة. وتقول مصادر أمنية أمريكية، ويهودية (ليبرالية) إن المنظمات اليهودية اليمينية بدأت تقيم معسكرات تدريب، فى أنحاء شتى فى الولايات المتحدة، لتعليم المتطرفين اليهود الذين يفكرون فى الهجرة إلى إسرائيل فى المستقبل على استخدام كافة أنواع الأسلحة وصناعة العبوات المتفجرة والانضباط والعقيدة العسكرية، وما إلى ذلك من أساليب وفنون الحرب. وتضيف هذه المصادر أن بعضاً من اليهود المتطرفين الذين يلتحقون بالحركة الاستيطانية فى الأراضى المحتلة، قد يكونون قد تلقوا تدريبات فى السابق أثناء خدمتهم فى القوات المسلحة الأمريكية، واكتسبوا خبرات قتالية أثناء مشاركتهم فى حروب أمريكا، لاسيما حرب فيتنام الطويلة»[٢].

وعلاوة على ذلك، فلقد أشارت مصادر وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A) إلى أن «القائمين على هذه المعسكرات، يستقدمون جنوداً وضباطاً فى الخدمة، أو من قوات الاحتياط التابعة للجيش الإسرائيلى، ليدربوا أنصار الحركات اليهودية المتطرفة هنا فى الأراضى الأمريكية قبل انتقالهم إلى إسرائيل»، وأضافت: أن هذه المعسكرات «منتشرة فى الجزء الأعلى من ولاية «نيويورك» وولايات «بنسلفانيا» و«فلوريدا» و«إلينوى» و«كاليفورنيا»، وضواحى ولاية «ماريلاند» القريبة من العاصمة واشنطن»[٣].

(١) المصدر نفسه. (٢) المصدر نفسه. (٣) المصدر نفسه.

ويضيف «ألبرت مخيبر»، رئيس «اللجنة العربية الأمريكية لمحاربة التمييز العنصرى» إلى ما تقدم معلومة جديدة فيقول:

«إن تقرير «إف بى آى» (F.B.I)، عن الإرهاب عام ١٩٨٥، يشير إلى أن المنظمات الإرهابية الموالية لإسرائيل ومن بينها «رابطة الدفاع اليهودية» قامت بأكثر من ٥٠٪ من الأعمال الإرهابية التى وقعت ذلك العام. وخلال تلك السنة تعرضت مكاتب «اللجنة العربية ـ الأمريكية لمحاربة التمييز العنصرى» للهجوم ثلاث مرات، وفى آب (أغسطس) ١٩٨٥ أصيب شرطيان بجروح خطيرة بينما كانا يحاولان إبطال مفعول قنبلة وضعت فى مكتب اللجنة العربية فى مدينة «بوسطن». وفى التاسع والعشرين من تشرين الثانى (نوفمبر)، وهو يوم التضامن العالمى مع الشعب الفلسطينى، التهمت النيران المقر الوطنى الرئيسى للجنة فى «واشنطن».

أما أخطر تلك الهجمات، فهو الذى وقع فى الحادى عشر من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٥، حين أدى انفجار قنبلة موقوتة فى مكتب «اللجنة العربية ـ الأمريكية» فى مدينة «سانتا» فى «كاليفورنيا»، إلى قتل مدير المكتب «أليكس عوده»، ونسف المبنى بكامله.

وفى ذلك الوقت أعلن مدير «إف. بى. آى»، القاضى «وليام وبستر»، أن العرب الأمريكيين «دخلوا منطقة الخطر». كما ثبتت مسئولية العصبة اليهودية عن الانفجار الذى لم يصدر أى حكم بشأنه حتى الآن. وهرب الأمريكيون الإسرائيليون الثلاثة، المشتبه بهم، من الولايات المتحدة إلى إسرائيل، التى رفضت سلطاتها حتى الآن السماح للمحققين الأمريكيين باستجوابهم»[1].

(١) ألبيرت مخيبر، العلاقة الأمريكية مع الإرهاب الإسرائيلى، مجلة «الوسط»، لندن، العدد (١١٠)، ١٩٩٤/٣/٧.

وقد ظهرت عشرات التقارير الإخبارية الأمريكية فى الصحف وعلى شاشات التليفزيون، تشير إلى تصاعد عدد المنظمات اليمينية الإرهابية فى لولايات المتحدة وإسرائيل، وإلى ونشاط هذه المنظمات الاستيطانى، من دلك ما أذاعه برنامج «ستون دقيقة» فى شبكة تليفزيون «سى. بى. إس»، فقد ظهر فيه «مايك جازوفاكى» من حركة «كاهانا حى» لكى يهدد: «سنفعل كل شىء لتقويض اتفاق عرفات ـ رابين»، كما تحدث عن «احتمال نشوب حرب أهلية فى إسرائيل بسبب قضية الانسحاب من الاراضى المحتلة»[1].

ولم تمض فترة طويلة حتى أعلنت مجموعة إرهابية، تطلق على نفسها اسم «فرقة درع ديفيد مكابى»، مسئوليتها، عن محاولتى تفجير فى كانون الثانى (يناير) ١٩٩٤، ضد جماعتين يهوديتين ليبراليتين هما: «الصندوق الإسرائيلى الجديد» و«الأمريكيون من أجل السلام الآن».

وأصدرت تلك المجموعة الإرهابية بياناً قالت فيه إن حكومة «رابين» «باعت الشعب اليهودى»، وأن «الحرب الأهلية بدأت»، وإثر ذلك سارع رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق إسحق شامير»، وهو نفسه عرّاب الإرهاب فى الشرق الأوسط، إلى تقديم الغطاء السياسى لحركة «كاهانا حى»، بقوله فى معرض تعليقه على هجوم نيويورك: «إن حركة السلام الآن ألحقت بدولة إسرائيل من الأذى والضرر أكثر مما كانت ستلحقه تلك القنبلة فيما لو انفجرت»[2].

وهذه الحركات من أمثال «كاخ»، و«كاهانا حى»، تحظى بتأييد واسع فى إسرائيل والولايات المتحدة، لاسيما بين الشباب، ويضم هذا الكادر الجديد أناساً من أمثال العضو السابق فى «رابطة الدفاع اليهودية» المتطرف «دوك هيكند»، الذى أصبح الآن مساعداً لرئيس بلدية نيويورك الجديد «رودى جيلياني»، فقد حقق جهاز «إف. بى. آى» فيما ذكرته الأنباء عن دور «هيكند» فى سلسلة من الهجمات الإرهابية حين كان عضواً فى العصبة، ومن الأمور

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.

المسجلة أيضاً ضد «هيكند» أنه امتدح جويمة قتل «أليكس عوده»، وقد أعلن هؤلاء الصهاينة المتعصبون «أن مذبحة الخليل كانت تحقيقاً لوعد الانتقام»[1].

ومن المثير أن نقرأ مانشرته صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية حاويًا انتقاداً صارخاً، وَجَّهَهُ أحد صحفييها إلى اليهود الأمريكيين، لمناصرتهم الدولة الصهيونية دون قيد أو شرط:

«أنتم أيها الأمريكيون.. أنتم أيها الليبراليون.. أنتم يا من تحبون الديمقراطية.. إنكم تعملون على تدميرها هنا فى إسرائيل، بتجاهلكم الحديث عن أى شىء ضد تصرفات الحكومة الإسرائيلية».

«إنكم تدفعون الإرهابيين إلى وضع القنابل فى سيارات العُمد الفلسطينية المنتخبين، وتقومون بتسليح المستوطنين اليهود وقلّة من العرب الحالمين بالسلطة لإثارة القلاقل فى القرى العربية.. إن المستوطنين قتلوا عدداً من الفلسطينيين، ورغم أن البوليس كان يعرف القتلة، إلا أنه لم يتحرك لأن لديه أوامر.. فما هو عذركم عن عدم تناول هذه الانتهاكات ضد القانون الإسرائيلى والأخلاق اليهودية؟!».

«وأشار الصحفى إلى ماذكره أحد أعضاء حركة (جوش إيمونيم) المتطرفة: «أن الواجب الدينى يقتضى تدمير كل السكان من غير اليهود بما فيهم النساء والأطفال»، وقال الصحفى: «إن صحيفته لديها ملف كامل، بقصص مُرعبة، رواها الجنود الإسرائيليون لدى عودتهم من دورياتهم فى الضفة الغربية المحتلة»، مؤكدا أنه «يمكن نشر هذه القصص بالتفصيل، ولكن الرقيب العسكرى الإسرائيلى يمنعنا»[2].

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: نعوم شومسكى، المثلث المحتوم: الولايات المتحدة وإسرائيل والفلسطينيون.
NU'AM SHUMSKY, The Inevitable Triangle: U.S.A. and Israel and Palestinian.
ترجمة: أحمد عز الدين بركات، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ص ص: ٢٤ ـ ٢٥.

وفى تعليق البروفيسور اليهودى الأمريكى الليبرالى «نعوم شومسكى» على هذه الواقعة يقول: «ويمكن للإنسان أن يتخيل ما يحيويه مثل هذا الملف بالنظر إلى ما تنشره الصحف الإسرائيلية بالفعل.. ويجب أن نذكر أن كل ما ينشر فى الصحف الإسرائيلية بالعبرية، يتم حذفه من الصحف الأمريكية، حتى لا يعرف هؤلاء الذين يدفعون الضرائب، وبالتالى يساهمون فى المساعدات التى تحصل عليها إسرائيل، شيئاً عن ذلك.. لقد تحققت الأخطار التى تواجهها إسرائيل من مؤيديها الأمريكيين، مما سيؤدى بالتالى إلى مزيد من المعاناة فى المنطقة وبشكل يمثل تهديداً متكرراً بنشوب حرب أكبر... ربما كانت حرباً عالمية»[1].

وفى محاولة للتعبير عن المخاوف من تصاعد نشاطات الجماعات الصهيونية الإرهابية فى أمريكا، كان وفد من رؤساء الجمعيات العربية ـ الأمريكية فى الولايات المتحدة قد التقى مع «وارن كريستوفر» وزير الخارجية الأمريكى، بعد مذبحة الخليل، وقدموا إليه خمس توصيات هى:

ـ على إدارة الرئيس «كلينتون» أن تؤيد فى إطار مجلس الأمن تدابير ملائمة وفعّالة لضمان حماية السكان الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، بما فى ذلك القدس.

ـ على الولايات المتحدة إقناع إسرائيل، الدولة المحتلة، اتخاذ خطوات سريعة لوضع حد لكل أعمال العنف ضد الفلسطينيين، من قبل المستوطنين الإسرائيليين، وأن تنزع سلاح هؤلاء، خصوصاً الذين ينتمون منهم إلى حركات عنصرية، ذات أيديولوجية عنف، وتدعو إلى تهجير الفلسطينيين.

ـ على الولايات المتحدة أن تدعو إسرائيل إلى وقف كل النشاطات الاستيطانية فى الأراضى المحتلة.

ـ دعوة الإدارة إلى إعادة تقويم دورها فى عملية السلام والتخلى عن

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٥.

موقفها «الهامد»، الذى تميزت به خلال الأشهر القليلة الماضية، والعودة إلى دور أكثر نشاطاً، كشريك كامل فى العملية السلمية، وعلى المسارات الأربعة.

ـ بناء على واقع أن مرتكب المجزرة فى «الخليل»، كان مواطناً أمريكياً ينتمى إلى منظمة إرهابية لها ارتباطات أمريكية، فإن من المهم أن تعمل مختلف أجهزة الحكومة الأمريكية على تحمل مسئولياتها وأن تفتح تحقيقاً وافياً يشمل عضوية وتمويل تدريب أتباع هذه المجموعات فى الولايات المتحدة.

الانحياز بعينه

وبالطبع، ففيما عدا بعض كلمات التهدئة والمجاملة، التى لا تقدم أو تؤخر فى الواقع شيئاً، لم تتخذ الإدارات الأمريكية خطوة فعلية واحدة لتنفيذ هذه التوصيات أو غيرها، بل على العكس تماماً تمادت فى تبنى المواقف والسياسات الإسرائيلية، «الرسمية» منها و«المتطرفة»، واللتان تلتقيان فى منبعهما الواحد، وغاياتهما الواحدة، مع المنابع والغايات الأمريكية، والمصالح الاستراتيجية لها... وتعترف مجلة «نيوزويك» أن المطلوب إغلاق الباب أمام حركة الأفراد.. والأموال والأفكار أيضاً، من أمريكا إلى إسرائيل، فى محاولة لإيقاف تصدير المقاتلين من المتطرفين اليهود إلى الأراضى العربية المحتلة[1].. فهل هذا ممكنٌ؟.. ممكن بالطبع فى حال إذا ما قررت الإدارة الأمريكية إيقاف إسرائيل ومتطرفيها عند حد معين.. لكن الواقع أن هذا الأمر غير مطروح تحقيقه بالمرة. بل إن أمريكا تتمادى فى تجاهل مشاعر ومصالح العرب إلى أقصى درجة ممكنة، ويكفى أن نقرأ تعليق الإدارة الأمريكية على تقرير الأمم المتحدة الذى يدين إسرائيل فى جريمة تَعَمُّدْ قتل المدنيين الذى لجأوا إلى مقر الأمم المتحدة ـ للاحتماء بها ـ فى قرية «قانا» بجنوب لبنان، لنعرف حقيقة الموقف الأمريكى الفعلى، ففى حين نقل تقرير لمجلة «كول هائير» (الإسرائيلية حول المذبحة التى نصبها جنود المدفعية الإسرائيلية، بدم بارد للمدنيين الأبرياء)، تعليقات الجنود

(1) NEWS WEEK, U.S.A., November 27, 1995.

الإسرائيليين، الذين أبلغوها أنهم «لا يشعرون بأى ندم أو أسف على سقوط هذا العدد الكبير من القتلى المدنيين العزل»، واعتبارهم أن القتلى: «مجرد حفنة من العرب»، وفى حين ذكرت المجلة آن قائد المدفعية الإسرائيلية عقد اجتماعاً قبل القصف، مع الجنود، وأبلغهم بالحرف: «هذه حرب، إن هؤلاء النفايات البشرية يطلقون عليكم الصواريخ.. فماذا تفعلون.. أنتم تعرفون أن هناك ملايين كثيرة من العرب فماذا أنتم فاعلون».. جاء تعليق الرئيس الأمريكى (بعدما أعربت المؤسسات الرسمية الأمريكية عن غضبها على إدانة التقرير لإسرائيل)، على النحو التالى:

«نلتمس العذر لإسرائيل فى مذبحة «قانا» بجنوب لبنان، وما حدث هو من قبيل «الأخطاء» المتوقعة فى زمن الحرب.. والتى لا يمكن تفاديها مهما تكن دقة الأسلحة»[١].

يقول «نعوم شومسكى»، فى كتابه السابق الذكر، معلقاً على عشرات من المواقف الأمريكية الشبيهة.. إنه «الانحياز بعينه»[٢] لكنه انحياز مفهوم، ودوافعه واضحة، فتقييم علاقة أمريكا بإسرائيل مرهون بدورها «الوظيفى» لخدمة المصالح الاستراتيجية لأمريكا والغرب فى منطقتنا، أو حسب «شومسكى»، فهو قد «تحدد طبقاً للدور المتغير الذى لعبته إسرائيل، بمقتضى المفاهيم الأمريكية المتغيرة لمصالحها الاستراتيجية السياسية فى الشرق الأوسط»[٣].

«فمن النفاق بالفعل، كما يذكر «شومسكى»، أن ندين إسرائيل بسبب إقامة المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة، بينما نحن ندفع لها من أجل إقامة هذه المستوطنات والتوسع فيها، ومن الزيف أن ندين إسرائيل لمهاجمتها الأهداف المدنية، بالقنابل الفوسفورية والعنقودية، بينما نحن نمدها بهذه

* استخدم لفظ عرابوشيم العبرى، وهو تعبير عنصرى يحمل معانى الاحتقار والازدراء للعرب.

(١) جريدة «الأهرام»، القاهرة، ١٩٩٦/٥/١١.

(٢) نعوم شومسكى، مصدر سبق ذكره، ص: ٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٧.

الأسلحة ونعرف أنها ستستخدمها فى هذه الأغراض فقط، ومن الزيف والنفاق والكذب أن ننتقد قصف إسرائيل للمناطق المدنية المزدحمة بالسكان أو مغامراتها العسكرية الأخرى، فى الوقت الذى لا نمدها فيه فقط بالأسلحة، بل ونرحب أيضاً باختبار هذه الأسلحة الحديثة المتطورة فى ميدان المعركة، لكى نتأكد، بأكثر الطرق أمناً، من صلاحيتها فى تنفيذ هذه التجارب.. وبصفة عامة، فإنه من النفاق المحض أن ننتقد ممارسة إسرائيل للقوة بينما نرحب بمساهمات إسرائيل نحو تحقيق الهدف الأمريكى بتصفية كل التهديدات التى تواجه السيطرة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط.. وبوضوح فإن علينا أن نتأكد من أنه طالما استمرت الولايات المتحدة فى تقديم الأداة، فإن إسرائيل سوف تستخدمها لتحقيق أغراضها»(١).

٢ـ «الصهيونية غير اليهودية» والمحرقة النووية:

تُعَرِّف «ريجينا الشريف» «الصهيونية غير اليهودية» باعتبارها «ظاهرة فريدة» تُعَبِّرُ عن «مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود، والتى تهدف إلى تأييد قيام دولة قومية يهودية فى فلسطين، بوصفها حقًا لليهود، طبقاً لمؤتمر بازل».. وعلى ذلك «فالصهيونيون غير اليهود، هم أولئك الذين يؤيدون أهداف الصهيونية ويشجعونها، بشكل صريح أو مُقَنَّع»(٢).

فـ «الصهيونية غير اليهودية»، أو «المسيحية الصهيونية»، أو أياً كانت المسميات التى تتخذها الجماعات التى تحمل أفكاراً ومعتقدات مشابهة، انطلاقاً من هذا التعريف، تُمَثِّلُ وجه العملة الثانى للأصولية اليهودية العنصرية المتشددة، ويكمل كل فريق منهما عمل الآخر، ويتحدان فى المسعى النهائى لهما: انتزاع فلسطين من العرب وبناء الدولة اليهودية عليها، وعلى أرضٍ عربية أخرى، بحسب التفسيرات التوراتية التى يؤمن بها أتباع هذه الطوائف.

(١) المصدر نفسه، ص: ١٥.

(٢) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها فى التاريخ الغربى، الكويت، سلسلة عالم« المعرفة»، العدد (٩٦)، ديسمبر ١٩٩٥، ص: ١٠.

وهناك فرق واضح بين أنصار «الصهيونية غير اليهودية» والمسيحيين الخُلَّص، هو أن الأولين تشكل دوافعهم السياسية الجزء الأساسى من البينة الأيديولوجية لمعتقداتهم، فيما يقتصر الآخرون على دوافع دينية وأفكار إيمانيه، لا يتعدونها إلى برامج ومشاريع وأهداف وخطط ذات طبيعة وغايات سياسية، يلجأون إليها لتحقيق مطامعهم، كما يفعل دعاة الفريق الأول وأنصاره.

وتعود جذور هذه الدعاوى السياسية، التى تَستَّرَتْ بأزياء دينية، حسبما يُجمع الباحثون، إلى عهد حركة الإصلاح الدينى، البروتستانتى، فى القرن السادس عشر، فالاساطير الصهيونية التى بدأ غرسها فى تلك المرحلة المبكرة، كما تذكر ريجينا الشريف، «كانت متوافقة مع تلك التى أصبحت تشكل، فى النهاية، المنطق الروحى الباطنى للصهيونية اليهودية السياسية، وهى أساطير «الشعب المختار»، و«الميثاق»، و«عودة المسيح المنتظر».. وقد جعلت أسطورة «الشعب المختار» اليهود أمة مفضلة على الآخرين، بينما كانت أسطورة «الميثاق» تركز على الارتباط السرمدى الدائم بين «الشعب المختار» و«الأرض المقدسة» كما وعد الله، وبذلك مُنحت فلسطين لليهود كأرض كُتبت لهم. أما أسطورة «تَرَقُّبْ عودة المسيح»، فقد كفلت للشعب المختار أن يضع حداً لتشرده. وقد صاحب «الإصلاح البروتستانتى» اهتمام واضح بالتنبؤات التوراتية المتعلقة بـ «نهاية الزمان»، وتحقيق «العصر الألفى السعيد» وهى فكرة جوهرها الاعتقاد بعودة «المسيح المنتظر» الذى سيقيم «مملكة الله» فى الأرض، والتى ستعمر لمدة «ألف عام» كاملة، وكان أصحاب هذه العقيدة يؤمنون أيضاً بأن تقرير مصير اليهود جزء عضوى ومكون أساسى من مكونات نظريتهم، فالتفسير الحرفى لنصوص «سفر الرؤيا»، «قادهم إلى الاستنتاج بأن عودة اليهود كأمة «إسرائيل»، إلى فلسطين، هى بشرى الألف عام السعيدة»[1].

وقد تواكبت هذه الدعاوى مع مصالح الفئات الاجتماعية والجهات

(١) المصدر نفسه، ص: ٣٨.

المعادية لليهود التى وجدت فى تهجيرهم إلى فلسطين حلاً نموذجياً للمشاكل المتراكمة المترتبة على وجودهم فى أوروبا، وكذلك مع رغبات كبار الرأسماليين الغربيين الذى رأوا فى هذا التوجّهُ، قَطعاً للطريق على انضمام «البروليتاريا اليهودية»، إلى صفوف الطبقة العاملة الأوروبية الثورية النشطة، أوائل هذا القرن.

فمن المعروف أن إعلان نتائج «مؤتمر بازل»، الصهيونى، الذى عقد عام ١٨٩٧ قد تواكب مع تدفق يهود أوروبا الشرقية إلى بريطانيا وأمريكا هرباً من موجات العنف التى تعرضوا لها أواخر القرن الماضى، وقد أزعجت موجات الهجرة اليهودية الضخمة القادة الكبار للإمبراطوريات الاستعمارية، مثل «جوزيف تشمبرلن، (١٨٣٦ ـ ١٩١٤م)، الذى تخوف من انعكاساتها السلبية على الاقتصاد البريطانى، «ومن مزاحمة الأيدى الرخيصة للمهاجرين اليهود للطبقة العاملة البريطانية»[١].

رباط لا ينقطع

ومن جهة أخرى فلقد وجد دعاة الاستعمار الغربى، فى هذه الفكرة مصدراً جديداً لدعم أطماعهم وتطلعاتهم فى منطقتنا، وقد عَبَّرَ «نابليون بونابرت»، عن هذه الأطماع حين وجّهَ نداءه الأول إلى يهود العالم، للقتال معه من أجل «إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة»[٢]، عام ١٧٩٩، وكذلك جَسَّدتها دعوة الرئيس الأمريكى الأسبق «جون آدامز»، إلى «استعادة اليهود لفلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة»[٣]، ثم تكرست فى الدور الذى لعبه الاستعمار البريطانى، برموزه وقياداته، فى تدعيم هذا التوجّه، وتيسير سبل تحقيقه، دون النظر بأدنى اعتبار للحقوق المشروعة لأصحاب الأرض الأصليين، على نحو ما عَبّرَ عنه اللورد «بلفور»، صاحب الوعد المشؤوم

(١) محمد السمّاك، الصهيونية المسيحية، ط ٣، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص: ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٢.

(٣) المصدر نفسه.

لمشهور، بوضوح قاطع: «ليس فى نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين.. إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء كانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة، فإنها متأصلة الجذور فى التقاليد القديمة العهد، والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهى ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربى الذى يسكنون هذه الأرض القديمة»[1]. وكذلك فالدعم المستمر الصريح من الولايات المتحدة لإسرائيل الآن، على كل المستويات، وبكل السبل يُعَبِّرُ بوضوح قاطع عن هذه الأطماع المُدركة من قبل الطرفين: الغرب الإمبريالى بزعامة الولايات المتحدة من ناحية، والدولة الصهيونية وقادتها، من ناحية أخرى، مثلما صَرَّحَ، بحسم، الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون»، بقوله:

«إن الرباط الذى يشد أمريكا إلى إسرائيل هو رباط خاص: والعلاقة بين الدولتين هى علاقة مميزة وفريدة بين الأمم»[2].

الإمبريالية الدينية

والخطير فى أمر السياسات الأمريكية، والغربية، المتصاعدة، لدعم العدو الصهيونى بلا حدود ولا حساب، هو أن تلك السياسات، تعتمد، إضافة إلى الدوافع المصلحية والاستراتيجية الأمريكية والغربية المفروغ منها، إلى بُعد «مسيحى ـ صهيونى» عميق الغور فى المكونات الأيديولوچية والثقافية للقادة والرؤساء الأمريكيين والغربيين، المؤثرين، الذين ينتمون إلى اتجاهات كنسية «مسيحية ـ صهيونية»، تؤمن كما يشير الدكتور «رفيق حبيب» فى كتابه «المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامى» بعدد من الأهداف، وضعتها نصب أعينها، منها:

« ـ حتمية تفوق أمريكا، فى السلاح، حتى تصبح أقوى قوى العالم.

(١) ريچينا الشريف، مصدر سبق ذكره، ص: ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) انظر أحمد بهاء الدين شعبان، الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠، القاهرة، دار سينا للنشر، ١٩٩٣، ص: ٤٢٩.

- حتمية عودة اليهود، وإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين العربية.

- حتمية عودة يهود الشتات، جميعاً، إلى دولة إسرائيل، وعلى رأسهم بالطبع، يهود (الاتحاد السوفيتى).

- حتمية هدم المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان (الثالث)، فى نفس مكانه.

- ضرورة تصاعد أحداث التاريخ، حتى تقوم «قوى الخير»، وعلى رأسها، أمريكا، بمحاربة كل «قوى الشر»، فى معركة «هرمجدون» فى فلسطين، حتى يأتى المسيح، ليحكم العالم لمدة ألف عام سعيد»[1].

وقد أكد هذه التوجهات، قبل ذلك، الرئيس الأمريكى الأسبق «جيمى كارتر»، الذى ينتمى لجناح من الكاثوليكية المتشددة، المتعاطفة مع الصهيونية، فى خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلى (القدس - مارس ١٩٨٩م):

«لقد آمن، وأظهر، سبعة من رؤساء الجمهورية (الأمريكية) أن علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل هى أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى ذاته.. إننا نتقاسم معا ميراث التوراة»[2].

إنها، كما يصفها حقاً «د. رفيق حبيب»، «ليست إلا «إمبريالية دينية»، وإنها شكل جديد من الأشكال العصرية للرأسمالية العالمية، وعصر الهيمنة الأمريكية، ولم لا، والأصولية الأمريكية تعتبر أن أمريكا هى رائد «إمبراطورية الخير»، والسياسة الأمريكية تقول إنها قائدة «العالم الحر»، ولم لا، والأصولية الأمريكية ترى الشعب الأمريكى ذا التراث الدينى، على أنه شعب الله المختار، بعد الشعب اليهودى، الذى فى الصدارة بين شعوب الأرض، باعتباره الشعب المختار الأول»[3].

(١) د. رفيق حبيب، المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الأوسط، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩١١، ص: ٣.

(٢) انظر لواء أ. ح. د. فوزى محمد طايل، النظام السياسى فى إسرائيل، ط ٢، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢، ص: ٢٩.

(٣) المصدر السابق، ص ص: ٥ - ٦.

وتبدو خطورة هذه العقائد المغلوطة على أمننا ومستقبلنا واضحة غاية الوضوح، بغير التباس أو تشويش، إذا ما عرفنا أن هذه التيارات الأصولية، المسيحية ـ الصهيونية (والمتمركزة داخل الحركة الإنجيلية العالمية)، قد استطاعت أن تدفع بعدد من المنتمين إلى أفكارها إلى سدة الحكم فى أمريكا، ومنهم على سبيل المثال الرؤساء: «جيمى كارتر» و«رونالد ريجان»، و«جورج بوش»، وعدد كبير آخر منهم إلى المواقع الأولى فى الإدارات الامريكية المتعاقبة.

ويزيد من إدراكنا لخطورة وأبعاد هذه الاتجاهات «المسيحية ـ الصهيونية»، التى تعمقت داخل أركان حركة «الإنجيليين الأصوليين»، إذا ما طالعنا الإحصاءات التى توضح الأعداد الضخمة من الأشخاص المنتمين إلى هذه التيارات، فى الولايات المتحدة، وعلى امتداد العالم كله، كما يذكرها «د. رفيق حبيب» فى كتابه السابق الإشارة إليه «المسيحية والحرب»، نقلاً عن موسوعة العالم المسيحى» (World Christian Encyclopedia)، وعن موسوعة عملية العالم، (Operation World):

١ ـ الإنجيليون (الأصوليون) فى العالم، بمختلف تياراتهم، ٢٤٠,١٥٧,١٠٠ نسمة، وذلك فى سنة ١٩٨٥، وفى سنة ٢٠٠٠، يتوقع أن يصل عددهم إلى ٣٤٣,٥٥٤,٣١٠.

٢ ـ الإنجيليون (الأصوليون) فى أمريكا، بمختلف تياراتهم، ٧٤,٧٢٨,٠٠٠ فى سنة ١٩٨٥، ومتوقع أن يصل عددهم فى سنة ٢٠٠٠ إلى ٩٣,٥١٥,٠٠٠، (المصدر الأول).

٣ ـ وتقدر الموسوعة عدد المنتمين إلى الجماعات الأصولية (المجموعات الإنجيلية الأكثر تشدداً) بـ ١٠ ملايين نسمة، (المصدر الثانى)[١].

(١) المصدر السابق، ص ١٠.

هيكلهم.. ومسجدنا

وقد نشرت مجلة «نيو ريببلك» «New Republic»، بحثاً عن التحالف غير المقدس بين فئات متعصبة من المسيحيين الصهيونيين واليهود، لتقويض الحرم الشريف بالقدس، أَعَدَّهُ «مايكل لادن»، الأستاذ بمعهد الدراسات الاستراتيجية فى جامعة «جورج تاون» بواشنطن، و«باربره لايدن»، نائبة رئيس تحرير المجلة العلمية «نظرة على الأثريات فى الأراضى المقدسة» وأشار إليه المحامى الفلسطينى «درويش ناصر» فى كتابه «الفاشية الإسرائيلية»، وقد ذكر الباحثان إلى أن خلوة «تاج الكهنة» فى القدس القديمة، التى تعمل على إعداد كهنة للهيكل الثالث، تُمول من قبل طائفة إنجيليكانية، وهى تدعم الخلوة المذكورة أيضاً فى استملاك أبنية فى الحى الإسلامى، على طول الطريق المؤدى إلى الحرم القدسى».

ولا تقتصر نشاطات المجموعات الأمريكية الدينية المتعصبة على مساعدة الفئات اليهودية الدينية المتعصبة وحسب، بل تشجع أيضاً أوساطاً قومية متطرفة فى إسرائيل تؤمن بالهدف ذاته: السيادة اليهودية فى الحرم.

ويشير البحث إلى أنه فى العاشر من شهر مارس ١٩٨٢ أُلقى القبض على أربعين يهودياً، بتهمة محاولة التسلل إلى الحرم القدسى، أربعة منهم حاولوا التسلل مدججين بالسلاح والمواد المتفجرة عبر نفق تحت الأرض إلى مسجد قبة الصخرة، وبلغت مصاريف الدفاع القانونى عنهم خمسين ألف دولار مولت من قِبل أثرياء طائفة إنجيليكانية فى «تكساس». وفى السابع والعشرين من يناير ١٩٨٤، أُلقى القبض فى القدس على عصابة أخرى، جمعت فى مخبأ قريب من الحرم قنابل ومواد متفجرة. وفى وقت لاحق أُلقى القبض على عصابة جمعت فى مخبأ واحد أكثر من مائة لغم من نوع «كليمور»، وصواريخ مضادة للدبابات، وكمية كبيرة من المواد المتفجرة، ويكشف البحث المذكور أن تمويل العصابات وصل من مصادر مشابهة فى

الولايات المتحدة الأمريكية، وأن أكثر الطوائف حماساً وسخاء، هى الطائفة الإنجيليكانية الأمريكية التى يبلغ تعدادها أكثر من أربعين مليونا والتى كثيراً ما التقى رؤساؤها مع شخصيات بارزة فى إسرائيل، وحَثّوها على إقامة «الهيكل الثالث»، لأنه حسب معتقداتهم: عندما يقام الهيكل سيظهر المسيح ثانية.

المؤسسة البارزة والنشطة، لهذه الطائفة، فى هذا المجال، هى «صندوق هيكل القدس» ومركزه فى «لوس أنجلوس»، ويرأس إدارته «جرى روز نهاور»، وهو متعصب وثرى كبير، وغيره من أثرياء «تكساس» وقساوسة كنيسته، الذين يرافقون الحجاج المتزمتين فى زيارتهم للأراضى المقدسة، بقصد الترويج لفكرة المسيح والهيكل.

أما ممثل الطائفة فى إسرائيل فهو «ستانلى جولدفوت» من عناصر عصابة «ليحى» سابقاً، يؤمن بأن الحرم ملك لليهود وحدهم، وبضرورة حرمان أبناء الديانات الأخرى من موطئ قدم فيه.

أما رئيس الصندوق «شارلز مونرو» فقد التقى مع كبار رجال الدين اليهود فى البلاد، وضمنهم مفتى الطوائف الشرقية، وحسب قوله أنهم باركوا مساعيه إلى إقامة كنيس يهودى فى الحرم.

يقول الباحثان «لايدن» أنهما طرحا سؤالاً على أحد زعماء الأوساط اليهودية التى تسعى إلى السيطرة على الحرم القدسى، فيما إذا كنت لا ترى تناقضاً بين الهدف النهائى للمسيحيين الذين يمثلون هذه الأوساط، وبين الأهداف الدينية لليهود. فأجاب: «هم يعتقدون بأنه عند إقامة الهيكل الثالث سيظهر المسيح ثانية. ونحن نؤمن أنه عند إقامة الهيكل سيظهر المسيح لأول مرة. سنبنى الهيكل وننتظر من الذى سيأتى».

وعلى كل حال ـ يقول «مايكل لادن، وباربرا لايدن» ـ إن ملايين المسيحيين المتعصبين فى أمريكا «تنتظر الحدث المسيحى» فى الحرم القدسى، وهى على استعداد لتقديم كل عون ومساعدة مهما كلف الأمر[1].

... وهكذا فعشرات الملايين من الأتباع المتعصبين، لعقيدة متطرفة، ترى فى أرضنا محلاً لتحقيق نبوءات توراتية صارمة يؤمنون بها، يملكون إمكانيات مادية هائلة ويتمرسون فى أعلى مواقع التأثير، فى أكثر دول العالم قوة وجبروتاً: الولايات المتحدة، ودول الغرب، يشكلون دعماً ضخماً لا يُستهان به للدولة الإسرائيلية.. هو أمر بالغ الخطورة لا يمكن التهوين من شأنه أو التقليل من آثاره.

معمودية النار

وهذه الآثار لا تمتد فقط لكى تشمل عالمنا العربى، أو أرضنا المحتلة فى فلسطين ولبنان وسوريا.. بل تغطى الكرة الأرضية بكاملها، فالعقيدة (المسيحية ـ الصهيونية)، التى تؤمن بالعودة الظافرة للمسيح، وبقيامة المملكة الألفية، تشترط وقوع معركة كونية شاملة بين قوى الخير والشر، وبين «الأطهار» و«الأشرار»، ومن هنا يمكن أن نفهم ادعاءات «رونالد ريجان»، الرئيس الأمريكى الأسبق، عن أهمية التصدى لـ «إمبراطورية الشر»، «السوفيتية» السابقة، ويمكن أن ندرك دواعى تصعيد حُمّى التسلح و«حرب النجوم»، التى تدفع بالبشرية إلى حافة الكارثة، ومن هنا يمكن أن نفهم كذلك تحذير «د. نيلين كالديكوت» «Dr. Nelen Caldicatt»، الرئيس الفخرى لمؤسسة «الأطباء من أجل المسئولية الاجتماعية»:

«إن عقائد اليمينيين المسيحيين الجدد أخذت تبنى لها أرضية فى مجتمعنا بشكل واضح. لقد أظهر التصويت لقياس الآراء، أن أربعة من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أنه عندما يتنبأ الكتاب المقدس بأن الأرض سوف تُدَمّرُ بالنار، فإن ذلك معناه إخبارنا بأن الحروب النووية لا مفر منها.. والعواقب السياسية لهذا الاتجاه تصدم الفكر»[٢].

(١) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص ص: ٩٢ ـ ٩٤.

(٢) جريس هايسل، النبوءة السياسية: الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية، =

وليس هذا الذى يصدم الفكر وحده، إنما الأهم أن هذه التوجهات ترى، على حد تعبير «ميرل ثورب»، (Merle Thorbe)، «رئيس هيئة السلام للشرق الأوسط»، «أن هناك مبرراً كاملاً يمكن التماسه، لدى أولئك الأشخاص، يدفع إلى اعتبار «الشرق الأوسط المكان الذى سيتم فيه الصدام العالمى.. والحرب النووية»[1] القادمة.

■ ■ ■

- ترجمة: محمد السمّاك، طرابلس ـ ليبيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٠.

(١) المصدر نفسه.

obeikan.com

«إن الوقت خطير الآن..

وأنا أظن أنى أستطيع أن أجعل الحكومة الروسية تقوم، بواسطتى، بدور فى إخماد المشاعر الثائرة، ولذلك أطلب من السلطات الرسمية أن ترتب لى مقابلة مع القيصر».

من رسالة «هرتزل» إلى «بليغيه»

وزير الداخلية الروسى

١٩٠٣/٥/١٩

«لحماية أنفسنا من اليهود، لا أجد أمامنا غير وسيلة واحدة هى: نستولى على (أرض الميعاد) ونُرَحلْهُمْ إليها..».

«فختته»

أبو القومية الألمانية